ندوة الثقافة الفلسطينية

دفاعاً عن الثقافة الوطنية الفلسطينية

فيما يلي ننشر بعضَ الأبحاث التي قُدِّمَتْ في ندوة عقدتها في دمشق مؤخّراً «لجنةُ الدفاع عن الثقافة الوطنيّة الفلسطينيّة» «الآداب»

هذه المائدة المستديرة

عبد القادر ياسين(*)

ثمّة ما يلحّ على ضرورة توفير مسح ثقافي شامل لمرحلة خصبة في حياة حركتنا الوطنيّة الفلسطينيّة، غطّت ثلاثين سنة كاملة ومتّصلة، بدأت بقيام منظمة التحرير الفلسطينيّة (١٩٦٤)، وانتهت بتوقيع اتفاق القاهرة (١٩٩٤)، ومن قبله اتفاق أوسلو ـ واشنطن (١٩٩٣).

كنّا، في أيّار (مايو) الماضي، نظّمنا مائدة مستديرة، في سبيل «مراجعة نقديّة لمسيرة منظمة التحرير الفلسطينية (١٩٦٤ ـ ١٩٩٤).

أسّست هذه المائدة لأخرى، نضع [بعض] موضوعاتها هنا بين أيدي القرّاء، انعقدتْ في قاعة الشهيد غسّان كنفاني بمخيّم اليرموك، في العاصمة السوريّة، واستغرقت ثماني ساعات من أيّام ٢٣ و٢٤ و٢٥/٧/١٩٩٤، وكانت وقفاً على الثقافة، دون غيرها من العناوين، مركّزةً على ما هو أساسي من صنوف الثقافة: من أدب، وفنّ، وصحافة، وتربية.

بعد شهر واحد من التوقيع على اتفاق أوسلو ـ واشنطن، عقدنا مائدة مستديرة حول مختلف أبعاد هذا الاتفاق (١٣/١٠/١٩٩٣)، وقامت مجلّة **الآداب** البيروتيّة مشكورة بنشر موضوعات المائدة، في عدد تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٣. على أنّنا في لجنة الدفاع أحسسنا بأنّ ثمّة ضرورة وأهمّيّة بالغتين كي نحرث عميقاً في الأرض، حتّى نتهيّأ للمرحلة الجديدة. فكانت هاتان المائدتان في قراءة الماضي، قراءة نقديّة، متأكّدين بأنّنا لن نفقد شيئاً من وراء هذا النقد إلّا أخطاءنا، التي تذهب غير مأسوف عليها... بما يتيح لنا التطلُّع إلى المستقبل، متحصّنين ضد أخطاء الماضي، مطوّرين ما تضمّنه هذا الماضي من إيجابيّات وأمجاد.

غنيٌّ عن القول بأنّ ثماني ساعات غير كافية للإحاطة بهذه الثقافة، وتشخيص دائها، ووصف الدواء لها. على أنّ هذه المائدة نجحت في رصد وتحليل المعالم الرئيسيّة لهذه الثقافة، عبر الأعوام الثلاثين المنصرمة.

ثمّة خصوصيّة لثقافتنا تتمثّل، أوّلاً، في إنتاج معظمها في المنفى؛ وثانياً في الانتماء المزدوج للمثقّف (لفلسطين والقطر العربي المضيف)؛ وثالثاً في أنّ قيادة منظمة التحرير أهملت الاعتناء بالثقافة، إلى حدٍّ بعيد، واستبدّت باتّحادات الكتّاب والصحفيّين والفنّانين، لتجعل منها قِرَدة، تعجن عجين الفلاحة، وتنام نومَ العازب، وتسرّي عن القادة المرهقين! وذلك بعد أن صادر هؤلاء القادة إرادة أعضاء هذه الاتّحادات، وداسوها بالنِّعال. والمقام لا يتّسع للوقائع الوفيرة في هذا الصدد. ومع هذا كلّه كان للثقافة القِدْح المعلّى في بلورة الكيانيّة الفلسطينيّة.

تُرى هل ننجح في أداء مهمّتنا... التي تنحصر في رصد خطى الهجمة الاستعماريّة الصهيونيّة على وطننا العربي، وكشفها للجماهير، أوّلاً بأوّل؛ متضامنين مع كلّ العرب الوطنيّين والقوميّين، لدحر هذه الهجمة، وصولاً إلى وطن عربي موحّد، يستند إلى مشروع نهضوي، بتنمية مستقلّة، وديمقراطيّة رحبة؟

(*) أمين سرّ لجنة الدفاع عن الثقافة الوطنيّة الفلسطينيّة.